الدكتور قاسم سلام عضو القيادة القومية لحزب البعث يتحدث لـ«القدس العربي» (1)

رسالة لعبد الناصر جعلتني اسافر الى روما والاخوان المسلمون قاطعوا جبهتنا العربية وتعاونوا مع جماعة الفاشيست الايطالية

الحساسية بين صدام والسامرائي بدأت اثناء احداث ايلول في الاردن .. فقد كان الأخير متهوراً

حاوره: محمود معروف*

لازال الدكتور قاسم سلام يحمل لواء حزب البعث العربي الاشتراكي، بل هو الوحيد، منذ سقوط بغداد، الذي يتحدث باسم الحزب دون خوف من تهمة او ملاحقة. فكل رفاقه في القيادة القومية للحزب الذي تأسس قبل ستين عاما، وحكم سورية والعراق، اما في رحاب الله او اسرى الاحتلال الامريكي او ممنوعون من النشاط باسم الحزب.

كان اللقاء مع الدكتور قاسم سلام، في منزله في صنعاء، فرصة تقييم اولية لتجربة حزب البعث في حكم العراق عمرها 35 عاما، ليس من زاوية ادارة الدولة العراقية لكن من زاوية دور القيادة القومية (اعلى هيئة قيادية للحزب) في ذلك الجزء من الوطن العربي الذي بات يرزح تحت نير قوات الاحتلال الامريكي ودباباته وحلفائه الذين جمعهم عداؤهم للحزب الذي لم ينته دوره حتى الان ويقول بعثيون انهم يقودون المقاومة التي جعلت ارض العراق جهنما للاحتلال وحلفائه.

ومر العراق خلال سنوات حكم البعث 1968ـ 2003 بأحداث بعضها له علاقة بالدولة العراقية والاخر له علاقة بالحزب، ودور قاسم سلام بحكم موقعه كعضو قيادة قومية كان فاعلا في احداث وشاهدا في احداث اخرى وعن دوره فاعلا وشاهدا تحدثنا على مدى ساعات طويلة في يوم من ايام رمضان اليمني وفي الحديث يوجه سلام نقدا، من موقع الاحترام، لقائده الرئيس صدام حسين ان كان في دخول الكويت 1991 او في محاصرة صدام حسين لنفسه في حلقة ضيقة كأنه يمنحها الثقة ويقول قاسم سلام ان منها من لم يكن مخلصا لصدام.

البدايات

■ كيف انتميت الى حزب البعث؟

■ بدأت حياتي السياسية فتى حيث كنت عنصرا من عناصر حركة الاحرار ومارست نشاطا ضمن الحركة الطلابية في عدن في اطار منظمة النجمة الثقافية للشباب العربي آنذاك اي ما بين 1956 و1957 حيث كانت عدن تلتهب بالاضرابات والنشاطات المناهضة للاحتلال البريطاني.

حزب البعث في تلك الايام كان في بداية ظهوره في اليمن وحين كنت في مرحلة الدراسة اعطاني صديق دستور الحزب وكتاب وفعلا قرأت الدستور والكتاب ما استطعت منه واستوعبت ما استوعبت ثم التقيت بالمرحوم عبد الله. سألني ان كنت اريد ان انتسب للحزب ورغم اني كنت ناشطا في اتحاد الحكمة اليمني وشباب الشورى اليمني وافقت لاني وجدت في الدستور والكتاب الذي قرأت ما جعلني اشعر بقرب من الافكار والمبادئ التي يطرحها وهكذا دخلت في مسيرة الحزب.

كانت البداية في الحركة الطلابية للحزب في عدن ثم انتقلت الى الكويت للدراسة وفي ثانوية الشويخ كان مسؤولي الاستاذ علي باعقيل الله يرحمه ثم انتقلت بعد قيام الثورة اليمنية الى القاهرة ثم الى صنعاء حيث شاركت مع رفاقي البعثيين في الدفاع عن الثورة.

وحين اختلفنا مع قيادة الثورة ابعدونا الى القاهرة انا وسبعة من رفاقي البعثيين وبعضهم لا زال على قيد الحياة لكن جلهم الان في الحزب الاشتراكي ومنهم الرفيق يحيى الشامي (عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني) وسيف احمد حيدر وبقينا في الاقامة الاجبارية الى أن تدخل الرئيس عبد الله السلال وكانت فرصة لي لدخول الكلية الحربية الا انني طردت منها بتهمة بعثي وقضيت الى نهاية 1963 في القاهرة بلا دراسة ولا عمل وحصلت على منحة من الحكومة اليمنية للدراسة في احدى جامعات روما فارسلت رسالة للرئيس عبد الناصر اطالبه بأن يقدمني للمحاكمة او ان يسمح لي بالسفر لايطاليا لاكمال دراستي هناك. وجاء الجواب بعد اقل من 24 ساعة حيث اتصلت بي رئاسة الجمهورية وابلغتني بموعد مع الرئيس جمال الذي ابلغني بالموافقة على الذهاب الى روما للدراسة.

■ كانت المرة الاولى التي التقيت بها عبد الناصر؟

■ التقيت بالرئيس عبد الناصر ثلاثة لقاءات قبل هذا اللقاء. حيث التقيته مع رفاقي الذين ابعدوا معي، وايضا رفقة مسؤولين يمنيين زاروا القاهرة.

عندما وصلت الى روما كلفت من القيادة القومية للحزب بتأسيس تنظيم للحزب في ايطاليا بالاشتراك مع رفاق من مختلف الاقطار، وهم مناضلون بعثيون حقيقيون، ووصل التنظيم الى مستوى شعبة. وكانت الخطوة الثانية اقامة جبهة عربية من كل التيارات السياسية العربية مثل حركة القوميين العرب والناصريين والوطنيين والماركسيين باستثناء الاخوان المسلمين الذين قاطعونا وبدأوا مع الاسف يحاربوننا بالتعاون مع جماعة الفاشيست الايطالية.

كانت التيارات الفلسطينية في هذه الجبهة مثل القوميين العرب الذين تحولوا فيما بعد الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين او الجبهة الديمقراطية وايضا حركة فتح اكثر حركية وفاعلية ونشاطا. وانا كنت مكلفا من القيادة القومية بأن اكون قريبا من حركة فتح وكان الطلبة يعتبرونني فتحاويا. حيث عممت لنا القيادة القومية ان كل بعثي هو فتحاوي. وكنت في جولاتي في المدن اقدم نفسي كفتحاوي.

هذه كانت البدايات ثم عقد المؤتمر القومي الثامن في دمشق 1965 فشاركت في المؤتمر وكانت هذه اول مشاركة لي في مؤتمر حزبي قومي حيث دعيت للمؤتمر السادس لكني لم استطع المشاركة لاني كنت في القاهرة وتحت الاقامة الاجبارية. ويومها كدت ان اصاب بالاحباط لولا قناعتي كبعثي وارتبط بالحزب كفكر ومبادئ وارى بالاستاذ ميشيل عفلق بالنسبة لي قامة طويلة وكبيرة واطول واكبر من قامات الجبال في اليمن. قرأت له في بدايات قراءاتي السياسية الكثير من كتبه وكتاباته وكنت اعتبره نموذجا للمناضل الاصيل.

لقد كان الجو الذي ساد في المؤتمر الثامن يدفع نحو الاحباط وخيبة الامل اذ الكثير من الرفاق في المؤتمر كانوا يعتقدون انهم اكبر واهم من الحزب واهم من المبادئ وحتى اذكر اني اصطدمت مع محمد عبيد وكان وزيرا للدفاع في سورية وتلاسنتُ كذلك مع الجندي وتعاتبت مع حافظ الاسد الذي كان قائدا للطيران لانه قال كلمة لم تعجبني لانه قال الحزب كله ثلاث دبابات وطائرة.

وايضا صدمت باطروحات المرحوم منيف الرزاز وكنت معجبا به لانه جمع بين اللمسات الليبرالية واللمسات البعثية بالافاق القومية في كتابه معالم الحياة العربية. وميشيل انسحب من المؤتمر احتجاجا وأحسست ان هناك شيئا يدبر وبلغت ان حركة انقلابية على الحزب قادمة وكانت فيما بعد حركة 23 شباط 1966 وذلك لاني دعيت الى لقاء في منزل بمنطقة التل واحسست ان هناك مؤامرة وراءها العسكر وبلغت القيادة القومية وابلغت مسؤولي في القيادة القومية وكان يومها الاستاذ شبلي العيسمي الذي اخذني الى الدكتور منيف، فإذا بالدكتور منيف وكان بقناعاتي شريكا في المؤامرة يقول لي انتم اهل اليمن متوجسون كثيرا ومتشككون كثيرا. قلت له يا دكتور انا بلغت واللهم اني بلغت لقد حضرت اجتماعا وكان فيه قياديين في القيادة القطرية ويطرحون طرحا واحدا مقلقا وخذ كلامي كما شئت خذه بمعايير حزبية بمعايير امنية خذه.

لم ارتح لرد فعل الدكتور الرزاز وفعلا كانت حركة شباط (فبراير) 1966. وهذا ما اصابني بنوع من الكآبة وان كان عمق الايمان بالحزب وسمو مبادئه وثقتي بقدرة مناضليه ابقاني متماسكا ومتمسكا بالحزب ومسيرته.

البعث في اليمن

■ دورك كبعثي في اليمن توقف ام استمر؟

■ بدأ الحزب في اليمن نشاطه العلني في حدود 1956 في عدن ثم بدأت تتسع ساحته للشمال عبر الطلبة الذين كانوا في الخارج او عبر رفاقنا في عدن الذين كانوا في المؤتمر العمالي. وكان للحزبيين نشاط قوي في الشمال سنة1959 حيث كانوا يتواصلون بشكل منظم مع بعض الشخصيات الوطنية وهم يعيشون ويلتقون احيانا بالاضافة لتواصلهم مع حركة الضباط الاحرار الذين هندسوا وفكروا وخططوا لثورة 26 سبتمبر 1962 وكان لافكار الحزب وقع وتأثير على هؤلاء وبعضهم لا زال على قيد الحياة.

1959 كانت بمثابة سنة التأسيس للحزب في المحافظات الشمالية فيما بدأت اول نواة للحزب في محافظة سيؤون على يد الراحل علي بن عقيل الذي كان الى جانب احمد حيدر من المؤسسين لهذه النواة.

■ اول مهمة كلفت بها في الحزب؟

■ اول مهمة كانت بما يمكن ان يوصف الان بعمل ارهابي حيث كلفت بعملية عسكرية بالقنابل والمسدسات ضد قوات الاحتلال البريطاني. ونفذت المهام التي كلفت بها وكان هناك رفيق مكلف بمهمة اخرى لم يستطع تنفيذها فأخذت المهمة بدلا منه ونفذتها وبعدين لاحقني البوليس في الليل لان المنطقة كانت محاصرة ومراقبة. طلعت الجبل ورجعت على المسجد ورجلي تنزف دما ولما خلعت الحذاء وسال الدم وسألني احد المصلين عن الدم وعملت نفسي اني لا افهم سبب نزيف الدم لاني دخلت المسجد من الموت.

■ في اية سنة؟

■ كانت في سنة 1957 وقبل ان اؤدي اليمين الحزبي. كانت المهمة نوعا من الامتحان بعد ان قرأنا ما اعطونا اياه من كتب وتعاميم حزبية.

وكلفت في اليمن بمهام اخرى بعد حركة 23 شباط (انقلاب القيادة القطرية السورية بزعامة صلاح جديد على القيادة القومية وعرفت تلك الحركة بحركة 23 شباط ويسميها انصار القيادة القومية بردة شباط) وذلك بإعادة التنظيم وكذلك بعد ثورة 17 تموز (يوليو) في العراق كلفت في 1969باعادة التنظيم في اليمن، حيث كنت في روما وكلفت بالذهاب الى اليمن للاتصال بالرفاق واعادة هيكلة وتنظيم الحزب.

كانت نشاطاتي بالحركة الطلابية ثم في دعم الثورة قبل ذهابي للقاهرة قد سمحت لي بإقامة علاقات صداقة وثيقة مع الكثير من الرفاق والناشطين السياسين في محافظات الشمال والجنوب ولما قامت الردة الشباطية كلفتني القيادة القومية بالتصدي للحركة الشباطية في اوروبا وتصدينا لها بشكل جيد ولم تتمكن الحركة الشباطية من استقطاب اي من اعضاء الحزب وعقدنا في براغ مؤتمرا للحزب في اوروبا. وتوافقنا مع موقف القيادة القطرية في قطر العراق. وكنا مصرين على دعوة مؤتمر قومي قد يحسم الخلاف داخل الحزب وقلنا اننا انتمينا للحزب والمبادئ والفكر والامة ولم ننتم لقطر او جيش او جماعة او لخطاب او لشخص ولو اردنا الانتماء لاشخاص لكنا انتمينا لجمال عبد الناصر.

وبعد قيام ثورة تموز (يوليو) في العراق في 17ـ 30 تموز (يوليو) 1968 طلبت مني القيادة القومية ان اعود لليمن الذي كانت فيه منظمة الحزب تعيش شبه انقسام. بعض الرفاق تمسكوا بالقيادة القومية واخرون توجهوا نحو دمشق. وبدأت الحوار مع رفاقي الذين كان بعضهم مترددا وخائفا وبعضهم كان مقتنعا بردة شباط فبدأت من الصفر وتواصلت مع مجموعة صغيرة التي اصبحت كبيرة فيما بعد ونجحنا في اعادة التنظيم وهيكلة الحزب الذي حافظ على اسمه اما الذين توجهوا الى دمشق فشكلوا مع تنظيم المعلمين السوريين الذين كانوا في اليمن ما عرف بمنظمة البعث في اليمن. اما جماعة صلاح جديد فخرجوا عن المنظمتين وشكلوا ما عرف بحزب الطليعة الشعبية الذي انضم فيما بعد للجبهة القومية.

كانت مشكلتنا مع حزب الطليعة الشعبية لان الاخرين لم يكن لهم وجود على ارض الواقع. لكن الكوادر الحقيقية التي تعب عليها البعث منذ الخمسينات كانت قد انحازت انحيازا كاملا لصلاح جديد واختلفت مع القيادة في سورية وكنا نحتك بهم دائما في اللقاءات والحوارات والندوات واخيرا قلنا لهم تعالوا نتفق انتم اخترتم الماركسية اللينينية ولم يعد لكم علاقة بحزب البعث ايديولوجيا وفكريا قالوا نعم، فقبلوا التخلي عن اسم الحزب قبل ان تنتهي المسألة عمليا بشكل نهائي لانهم اندمجوا بالحزب الاشتراكي الذي شكل من اطراف الجبهة القومية التي كانت حاكمة بالمحافظات الجنوبية.

بعد انتهاء مهمتي في اعادة بناء وهيكلة الحزب عدت الى بغداد لتقديم تقرير للقيادة القومية حول مهمتي وحول التنظيم الجديد في اليمن قبل ان اعود الى ايطاليا لاكمل دراستي.

■ علاقتك مع اليمن 1963 الى 1969 لم تكن علاقات تنظيمية؟

■ حزب البعث حزب قومي وعندما يخرج البعثي من قطره يرتبط بحركة الحزب وتنتهي علاقته التنظيمية بقطره. اما علاقتي كبعثي مع اليمن فكانت علاقة مع الرفاق كأصدقاء لكن ليس في اطار عمل تنظيمي وحزبي. علاقتي ايضا مع رجال الحركة الوطنية الذين كانوا يناضلون ضد الاحتلال البريطاني او ضد نظام الامام. لكن العمل الحزبي في القاهرة بالنسبة لي كان في تلك الفترة المسؤول عنا هو صدام حسين الله يفك اسره هو الذي كان مسؤولا عن الطلبة اليمنيين والعرب في خارج الوطن العربي.

البعث في ايطاليا

■ ما طبيعة العلاقة بين نشاطكم في ايطاليا والحزب؟

■ في القيادة القومية كان هناك مكتب منظمات خارج الوطن وكانت علاقتنا مع هذا المكتب بغض النظر عن الاقطار التي اتينا منها وعندما نعود الى الوطن ننفذ مهمات نكلف بها.

■ انتخابك في القيادة القومية في المؤتمر العاشر كان نتيجة توزيع اعضاء القيادة القومية على الاقطار؟

■ في الحزب لا يوجد تقسيم او توزيع قطري.

■ بالمفهوم التقني لتوزيع الاعضاء؟

■ هناك مكتب التنظيم القومي وهو المسؤول عن المنظمات داخل الوطن وهناك مكتب تابع لمكتب التنظيم القومي اسمه مكتب منظمات خارج الوطن ومسؤول عنه عضو قيادة قومية انا كنت بعد المؤتمر العاشر مسؤولية مكتب التنظيم القومي الى جانب مسؤوليتي عن قطر اليمن التي كلفت بها لمتابعة العمل التنظيمي الذي قمت به عام 1969.

■ بعد انتخابك عضوا في القيادة القومية هل شعرتم ان اليمن نال حيزا كان يستحقه في القيادة لاول مرة منذ تأسيس الحزب؟

■ بالتأكيد واعتقد ان الثورة في العراق وقيادة الحزب لها أتاح الفرصة امام حضور يمني مكثف في العراق حيث استقبلنا فيما بعد عشرات الالوف من الطلبة اليمنيين، ولم يكونوا كلهم بعثيين. وابقينا الساحة مفتوحة حتى لا يشعر البعثيون ان الدنيا بدأت عندنا وتنتهي عندنا.

■ الا تعتقد ان وجود الحزب في السلطة يشجع الانتماء اليه بمعنى عندما كان الحزب حاكما في سورية كان البعثيون اليمنيون مع دمشق وعندما حكم العراق تحولوا الى بغداد؟

■ ليس بهذه الصيغة نحن البعث كان مع القيادة القومية ونعرف القيادة القومية قبل ان نعرف الانقلاب في سورية ومرتبطين بمكتب الاتصال القومي وعندما قامت الثورة في اليمن وكان للبعثيين دور مهم فيها اصبح نشاط البعثيين التنظيمي يكاد يكون توقف بين الضباط الاحرار الذين كانوا يقولون انهم يناضلون من اجل اليمن وليس من اجل اي حزب.

ولهذا اول من توجه الى عبد الناصر هم رفاقنا البعثيون يطالبون بدعم القاهرة للثورة اليمنية الفتية اما فيما يتعلق بالبعث في سورية وما حدث في 1966 فله طابع اخر حيث بعد المؤتمر القومي الثامن وكانت الحركة العسكرية لم تعلن عن نفسها انها ضد القيادة القومية بل العكس كانت تحكم الجيش باسم القيادة القومية وتحاول ابتزاز القيادة القومية باسم الجيش. لما قام الانقلاب وصارت الردة اصيب الحزب في معظم الاقطار بالدهشة والاستغراب.

التحاق منظمة اليمن بحركة شباط كان بسبب بعض البعثيين الذين كانوا موجودين في دمشق وكان هناك توجه عام لدى ثلاثة او اربعة من البعثيين في مواقع قيادة معينة لهم توجه ماركسي لينيني او النظرية العلمية وبالتالي مستندين في تحليلاتهم الى المنطلقات النظرية للمؤتمر السادس التي كانت قد تدغدغ عواطف الكثير من البعثيين الذين كانوا غير متعمقين في فكر الحزب وجاؤوا الى مواقع متقدمة بالحزب قبل الاوان التنظيمي الذي نعرفه. نحن بدأنا من الطفولة.

هؤلاء كانوا يرون في المنطلقات النظرية للمؤتمر السادس بديلا لفكر الحزب كله مع انها جاءت في اطار تحليل الحزب لمرحلة معينة بمواجهة تحليل مهجن داخل الساحة القومية.

هذا النوع من البشر وجد في حركة شباط وفي افكار صلاح جديد فرصة للوصول الى مواقع متقدمة بالحزب. البعثيون الاخرون الذين تشبعوا بفكر البعث وغرقوا فيه حتى النخاع وجدوا في ردة شباط قفزة فوق الواقع وردا على المنطق الذي طرح في المؤتمر القومي الثامن، وهو كيف يمكن لسورية ان تكون فعلا قاعدة بعثية ثم تنطلق منها رؤية البعث وتحليلاته وافكاره الى مختلف اقطار الامة وتشكيل مجلس قومي يكون ردا على المجلس القومي الذي طرح يجتمع كل ثلاثة اشهر لمناقشة اوضاع الامة واوضاع الاقطار قطرا قطرا وان تكون لسورية البعثية فعلا اسهام جدي فعلي لتنشيط حركة البعث وحركة الثورة العربية وتكون سورية قلعة لتحرير فلسطين وهو ما اكد عليه المؤتمر الثامن.

التجربة المرة

■ كيف قرأت كتاب التجربة المرة للمرحوم منيف الرزاز؟

■ كانت لي قراءة مختلفة للتجربة التي كانت حلوة للرجعيين والمعادين للبعث وتجربة مرة للبعثيين.

التجربة المرة للدكتور منيف الرزاز حقيقة كانت انطباعات شخصية اكثر منها تحليل واقع عشناه كبعثيين. الدكتور الرزاز مات ولكنه رحمه الله كان مع الردة الشباطية حتى العظم. لقد صدقهم انهم سيجعلونه بديلا لميشيل عفلق. ميشيل عفلق انسحب من المؤتمر نتيجة الشطحات التي طرحت داخل قاعة المؤتمر وكانت اطروحات غير منطقية وغير بعثية، والاستاذ ميشيل انسحب وانسحابه عمل هزة للذين لم يكن لديهم ايمان بالبعث ولهذا اطلقوا عليه القائد المؤسس على اساس انه كما قالوا انتهى وعلى ان يكون الامين العام منيف الرزاز الذي اعتقد انه استعجل في سرد وقائع بعضها اصطنعها هو لتبرير موقفه، لان العسكر عندما استخدموه واجهة لم يعطوه الثقة ليكون قائدا لهم، لانهم يعتبرونه ايضا من الجيل القديم ومن التراث، والرجل صافي الذهن لكنه وقع في غلطة تاريخية وقلتها له عندما جاء الى بغداد (1975) في اول زيارة له بعد ثورة البعث في العراق وكلفت باستقباله ومرافقته وقلت له انا مع الاسف الشديد فجعت بالتجربة المرة عندما قرأتها، اجاب لماذا قلت له لم يكن هذا منيف الرزاز الذي عرفته في معالم الحياة العربية وفي تحليلاته الاخرى، عندما يكتب. قال كانت مرة، قلت له إن شاء الله لن تعود، بعد ذلك حاول ان يكررها في بغداد.

■ سنأتي على تجربته المرة في بغداد فيما بعد. نعود للسياق انت عدت الى القيادة القومية متفرغا في بغداد في عام 1971 لتستقر فيها؟

■ ليس لاستقر لكن مهامي الحزبية كانت تتطلب وجودي في بغداد. اول ما دخلت بغداد لم اصدق اني في العراق من ناحية التخلف الذي كان موجودا وما يتعلق في البنية التحتية او نمط الحياة. خفت على حزب البعث ان ينتكس مرة اخرى بعد نكسة سورية لكن كانت ثقتي كبيرة في القائد احمد حسن البكر الذي كنت اعرفه من بعيد لكن عندما احتكيت بهم في الايام الاولى عرفت نوعية الرجال الذين تسلموا مقاليد الحكم لانه سيكون هو العزاء لما حدث بسورية كما اني اعرف ايضا القائد صدام حسين.

كان العراق بلدا متخلفا. حقا هناك دولة وهناك جيش لكنها بدايات دولة وبدايات جيش اي لم تكن هناك مؤسسات حقيقية قوية موجودة.

مهمة في بغداد

■ اول مهمة في بغداد؟

■ اول زيارة كانت كما قلت بعيد الثورة حين استدعيت الى بغداد لاكلف بملف اعادة تنظيم الحزب في اليمن ولقد التقيت في تلك الزيارة بكل اعضاء القيادة القومية واول من التقيت كان الاستاذ شبلي العيسمي ثم المرحوم صالح مهدي عماش وكانت لقاءاتي فرصة لاستوعب ما الذي يدور الان في الخارج ولاطمئن كغيري من البعثيين بعدم الانتكاسة مرة اخرى وكان عندي متابعات وبعد مهمتي باليمن عدت للعراق.

اول ما دخلت العراق بعد انتخابي في القيادة القومية كنت قد تركت الدراسة في ايطاليا وابحاثي كنت أرسلها للاستاذ المشرف على دراستي كل شهر او شهرين لاني كلفت بمكتب التنظيم القومي وبمكتب الطلبة القومي.

خلال سنتين من وجودي في بغداد شهد العراق تحولات اجتماعية واقتصادية عميقة وسريعة على الصعيد النوعي والكمي ولاحظت ان العراق قطع خلال هاتين السنتين مسافة كأنه قطع ثلاثين سنة نظرا لما تحقق لانه كان هناك عمل هائل ولهذا قلت لك ان الرجال الذين استلموا السلطة لم يكونوا رجالا يطلبون السلطة من اجل السلطة او من اجل ان يحكموا بل قادة جددا جاؤوا ليؤسسوا ويبنوا وينجزوا ويطبقوا برنامج البعث في العراق مستفيدين من تجربة رمضان الاول (8 شباط ـ فبراير 1963) الثورة التي تكالبت عليها كل القوى واجهضتها.

■ لكنها بدأت بالتصفيات اولا عبد الرزاق النايف احد شركاء البعث ثم حردان التكريتي؟

■ كان ابعاد هؤلاء قد ترك انطباعا طيبا لدى البعثيين قيادات وقواعد، لانه كانت هناك تخوفات من النايف وكذلك من حردان الذي كان طموحا وطموحاته لم تكن كلها شرعية. هو صحيح بعثي لكن ليس كل بعثي يمكن ان يكون قائدا. حردان طموح وكان يعتقد انه في حلف اساسي مع النايف وبالتالي يمكنه ان يصنع الحدث وكان رفاقنا في العراق قد تصرفوا تصرفا مستعجلا مع النايف قبل الاوان الذي حددوه (15 يوما) كان يمكن ان يحدث اشكالا داخل القوات المسلحة وكان هذا تصرفا حكيما بلا دماء وحكيم بلا ضحايا وبلا جعجعة اعلامية.

■ لكنهم اغتالوا حردان فيما بعد بالكويت؟

■ ارسل حردان للكويت وطلب منه ان يبقى هناك، من اغتال حردان سؤال لا زال جوابه معقدا هل كان هناك قرار بابعاد حردان واغتياله ام كان القرار لابعاد تأثيرات حردان عن مواقع قوى داخل القوات المسلحة آنذاك. بالنسبة لي كان ابعاده قرارا سليما اما كيفية ابعاده وما جرى بعد ذلك فليس لدي تفاصيل.

عبد الخالق السامرائي

■ 1973 كانت حركة ناظم كزار وذهب ضحيتها الى الاقامة الاجبارية رفيقك في القيادة القومية عبد الخالق السامرائي. اين كنت قاسم سلام والقيادة القومية من هذه الحركة؟

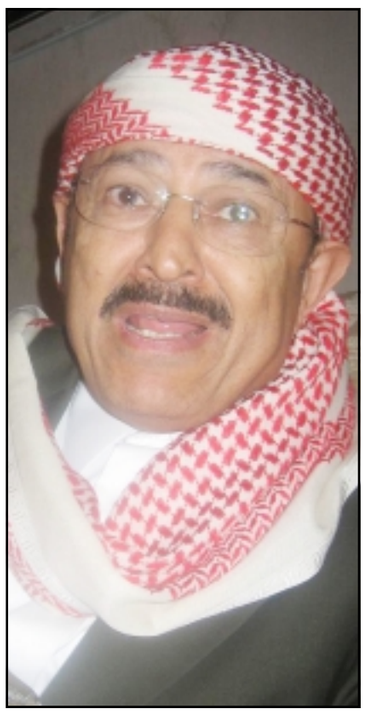

قاسم سلام

■ عبد الخالق السامرائي كان صديقي وكنت دائما التقي معه ساعات وساعات نتحاور وهو بلا شك مناضل وعفيف ونظيف لكنه كان عنيدا تصعب زحزحته عن قناعاته حتى لو كان على خطأ وكنت من الذين كان لهم دور في الحوار مع عبد الخالق وتلطيف الاجواء بينه وبين بقية اعضاء القيادة القومية وتحديدا النائب آنذاك صدام حسين.

وفي احدى اللقاءات وانا اناقشه نصحته رغم اني اصغر منه سنا واقل تجربة لكن كنت خارج الاصطفاف ولم اكن جزءا من تكتل لاني لا اعمل ضمن تكتلات منذ ان دخلت الحزب لانه لم يكن عندي مصلحة. البعث الحمد لله صحيح وسليم وتاريخي خال من الانعطافات التي حدثت نتيجة التكتلات.

عبد الخالق دخلت معه في مكتبه بالمكتب الثقافي بحكم مسؤوليته عن المكتب بنقاش عنيف حول صدام حسين لحد اني قلت له انت متآمر يا عبد الخالق. قال لي انت ابو موسى الاشعري. قلت له افضل ان اكون ابو موسى الاشعري على ان اكون عمرو بن العاص. بعد هدوئه قلت له لماذا لا تلتقي معه. قال من يقدر ان يصل له هل يأتي. قلت له انا احضره لك. قال يأتي. قلت له نعم. فذهبت للقائد صدام وكلمته في بيته.

■ متى بدأتم لمس الحساسية بين السامرائي وصدام حسين؟

■ اثناء احداث ايلول (سبتمبر) والمواجهات بين الثورة الفلسطينية والنظام الاردني 1970 حيث كان عبد الخالق مع مساندة الجيش العراقي للثورة الفلسطينية في حين ارتأت القيادة ابعاد الجيش العراقي عن تلك المواجهات.

في احداث السبعين بالاردن كان عبد الخالق السامرائي يطلب من العراق موقفا خارج قدراته ومساحة تحليله للحدث وكنت على معرفة بياسر عرفات وعقدت معه جلسات ثنائية وجلسات رباعية مع صدام حسين وصالح مهدي عماش وكانوا جميعهم يريدون بقاء القوات العراقية لتحسين وضع عرفات التفاوضي. واذكر ان الرئيس البكر قال لابي عمار قل لي اسلمك الجيش العراقي اسلمك اياه اسلمك اياه لكن ان ابقي الجيش العراقي اي 60 الف جندي في الميدان هؤلاء يعودون ويعملون علي انقلابا ويموتون معنويا. وانت تقول لنا الجيش الفلسطيني محاصر وانهم شبه معتقلين في سورية. عبد الخالق السامرائي ومجموعة من الشباب كانت حجتهم ضعيفة امام منطق التاريخ وامام منطق الاحداث التي كانت تحدث.

■ وهل التقى صدام مع السامرائي بعد نقاشك معه؟

■ نعم ذهبت لصدام في البيت وبعد ان ابلغته نقاشي مع السامرائي ورغبتي بلقائهما ليتحاورا وافق على الحضور الى بيت عبد الخالق فرافقته الى هناك ففوجئ عبد الخالق لانه كان يعتقد ان علاقته مع صدام انتهت وان صدام لن يأتي فتصافحا وتركتهما. قال لي صدام اقعد يا رجل قلت له اتركككما لتتحدثا بحرية.

صدام راح عليه وتناقشا، وقال لي الاثنان فيما بعد ان الخلافات بينهما سويت والامور بينهما على خير ما يرام.

لقد كان صدام والسامرائي يتناقشان في القيادة القطرية والقيادة القومية بشكل موضوعي وكان صدام اقوى بعثي عرفته بموضوعيته وجدليته وبحواره.

واذكر في اخر اجتماع للقيادة القومية كان يناقش ويحاور ويجادل ويختلف لكن بعد انتهاء الاجتماع ينتهي اي خلاف. بينما الاخرون كانوا يخرجون يواصلون الجدال والتمسك بالخطأ واضافة الفلفل عليه.

لقد اخطأ عبد الخالق كثيرا وبدأ موقفه من صدام يتحول الى تآمر فشارك في محاولة ناظم كزار ولقد اعدم كل من شارك معه لكن القيادة وضعته تحت الاقامة الاجبارية تقديرا لتاريخه ونضاله ونظافته.

عبد الخالق السامرائي كان متهورا، المؤامرة الاولى نجا منها، واعرف ان عبد الخالق لم تكن لديه حجة للجوء للقوة لانه لا يمكن اللجوء للعنف الا في حالة الاضطرار لكن الحزب موجود والمؤتمر القومي على الابواب. عندك حرية ومساحة واسعة جدا تتكلم بها ما شئت داخل اطر الحزب، وصدام حسين لم يكن في اية لحظة من اللحظات ذاك العنصر الذي يخوف في فكره وتنظيمه، بالعكس كان يتكلم ويحاور بمنطق، وكان لديه استعداد للجلوس 12 من 24 ساعة يحاور دون كلل او ملل، فاذا كنت تستطيع حلَ المشاكل والقضايا بالحوار والمنطق لماذا اللجوء للقوة والتآمر والعنف؟

قاسم سلام مع ميشيل عفلق

* مدير مكتب «القدس العربي» في الرباط